اللغة السريانية

نقولا مالك

١ ـ الآراميّون

١٠١ ـ إسمهم وتاريخهم

الآراميّون هم شعب من تلك المجموعة من الشعوب التي أُطلق عليها إسم «الشعوب الساميّة».

ورد في سفر التكوين: «بنو سام عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وآرام» (١٠:٢٢)، فكلّ الشعوب التي تحدّرت من سام وأبنائه أُطلق عليها إسم «ساميّة». ونلاحظ أنّ آرام هو أحد أبناء سام، فمن الطبيعيّ إذاً أن يُنسب إليه أحد هذه الشعوب المذكورة أعلاه. والجدير بالذكر، أنّ تسمية «الآراميّين» تغلبت على التسميات الأخرى، وربّما كان ذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد[١].

من أقدم الكتابات التي ورد فيها إسم «آرام»، كتابة مسمارية ترجع إلى عهد الملك الأكادي نرام ـ سين (٢٢٦٠ ـ ٢٢٢٣ ق.م.)[٢].

أما تسمية «سريانيّين» فقد تعدّدت الآراء في أصلها، واختلفت حول مصدر اشتقاقها في حين نرى شبه إجماعٍ على ارتباط هذه التسمية بـ «سورية». فقد زعم البعض أنّ اليونان حين استولوا على هذه البلاد ورأوا ما فيها من آثار الملوك الأشوريّين، أطلقوا عليها إسم «سورية» Syria ، محرَّفاً من «أشّور» Assyria [٣]. ورأى آخرون أنّ اسم «سورية» منسوب إلى «سوروس» أي «قورش»[٤]. وَيُخَطِّئُ

(١) المطران غريغوريوس صليبا شمعون: الممالك الآراميّة، ص ٥.
(٢) المرجع نفسه، ص ٥.
(٣) القس بولس الخوري الكفرنيسي: غرامطيق اللغة الآرامية السريانيّة، المقدّمة ص و.
(٤) قورش: ملك فارسي (٥٥٩ ـ ٥٢٩ ق.م.) أخضع بابل في سنة ٥٣٨، وحرّر اليهود آذنا لهم بالعودة الى اليهوديّة. راجع: البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث: الكنيسة السريانيّة الانطاكية الاثوذكسية، ص ٦ و٧.

الدكتور فيليب حتّي النظريّة الأولى (أي نسبة سورية إلى أشّور)، دون أن يبرّر ذلك؛ ولا يأتي على ذكر النظريّة الثانية؛ لكنّه يرى أنّ إسم «سورية» يوناني في شكله، وقد ورد في آداب أوغاريت بشكل «شرين» Shryn. ثمّ يدعم رأيه بالقول إنّ تسمية سورية والسوريّين لم ترد في النصّ العبريّ الأصليّ للعهد القديم، ولكنّها استُعملت في الترجمة السبعينيّة[٥] للدلالة على آرام والآراميّين؛ ويضيف أنّ إسم Syrus (سوريّ) كان بالنسبة للرومانيّين يعني كلّ شخص يتكلّم اللغة السريانيّة[٦].

تبقى مسألة الإزدواجية بين تسميتَي: سريانيّ وآراميّ التي نشأت بعد ظهور الدين المسيحي. ذلك أنّ الآراميّين الذين اعتنقوا الإيمان المسيحي، بدأوا يتملّصون من تسمية «آراميّين»، لئلاّ يحصل التباس بينهم وبين أبناء جنسهم الذين لم يؤمنوا. وهكذا، صاروا يتمسّكون باسم «سورية» ويسمّون أنفسهم سريانيّين أي سوريّين[٧]. فصار اسم «سريانيّ» إسم علمٍ للمسيحيّ، في حين أمسى إسم «آراميّ» مرادفاً للصابىء أو للوثني، حتّى أنّ الترجمة السريانيّة للعهد الجديد المعروفة بالبسيطة ـ وهي غير ترجمة العهد القديم المدعوّة بالاسم نفسه، كما سيرد لاحقاً ـ استخدمت لفظ الآرامي للدلالة على معنى الوثني[٨]. ولعلّ أفضل رأيٍ في هذه المسألة ما أورده المطران ثاوفيلوس جورج صليبا، ومفاده أنّ كلمة بفتح الأوّل (Armoyo) تعني الوثني، أمّا كلمة بضمّ الأوّل (Oromoyo) فتعني الآرامي؛ فرفض المتنصّرون هذه التسمية منعاً للإلتباس[٩].

٢٠١ ـ بلادهم

كان الاراميّون في أوّل أمرهم قبائل متفرّقة، نذكر من أشهرها: الأخلامو والخابيرو. إلاّ أنّ ظهورهم الأوّل كشعب ذي كيانٍ وسيادةٍ كان قبل القرن الخامس

---

(٥) السبعينيّة: ترجمة للعهد القديم من العبريّة الى اليونانيّة، يقال إنّ من قاموا بها كانوا ٧٢ رجلاً، وأنجزوها في ٧٢ يوماً، ولهذا سميّت بالسبعينيّة. وقد تمّت هذه الترجمة تنفيذاً لرغبة الملك بطليموس الثاني، عام ٢٨٠ ق.م.

(٦) الدكتور فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ص ٦٢ و٦٣؛ أنيس فريحة: معجم أسماء المدن والقرى اللبنانيّة، المقدّمة XXI و XXII.

(٧) القس بولس الخوري الكفرنيسي: غرامطيق اللغة الارامية السريانية، المقدمة و ـ ز.

(٨) البطريرك أغناطيوس زكّا الأوّل عيواص: كنيسة أنطاكية السريانيّة عبر العصور، ص ٩.

(٩) المطران ثاوفيلوس جورج صليبا: «كنيسة انطاكية السريانية الأرثوذكسيّة»، مجلّة المنارة، السنة ٢٧، عدد ١ و٢، ص ١٣٠.

عشر قبل الميلاد، وفترة نشاطهم السياسي تبدأ بين القرنين الثاني عشر والحادي عشر، إثر التضعضع الذي هزّ كيان الامبراطوريّة الأشوريّة بعد عهد ملكها تغلات فلاسر الأوّل[١٠].

وكانت بلادهم منتشرة في بقعةٍ واسعة، يحدّها من الشرق بلاد فارس، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشمال بلاد الأرمن وآسيا الصغرى، ومن الجنوب شبه الجزيرة العربيّة. وقد أسّسوا ممالك ودويلات عدّة، نذكر منها:

ـ مملكة دمشق التي بناها عوص بن آرام بن سام، وكانت أقوى ممالك الآراميّين حتّى أنّ العهد القديم كان يطلق عليها إسم «بلاد آرام» من باب تسمية الجزء باسم الكلّ.

ـ مملكة صوبا (البقاع حاليّا) التي كانت دويلة منظّمة في أوائل القرن الحادي عشر.

ـ مملكة شَمْأَل (ما بين حلب وجبال طوروس) في القرن العاشر قبل الميلاد.

ـ دويلة جَشُور (بين دمشق واليرموك).

ـ دويلة مَعْكا (شرقي الأردن في منطقة الجولان).

ـ دويلة رَحُوب (في أقصى شمال فلسطين إلى الجنوب من مملكة صوبا).[١١].

أمّا انطفاء شعلة الآراميّين السياسيّة فكان عندما سقطت مملكة دمشق في عهد آخر ملوكها حزئيل نحو سنة ٧٣٢ ق.م.[١١].

---

(١٠) المطران غريغوريوس صليبا شمعون: الممالك الآراميّة، ص ٦.

(١١) المرجع نفسه، ص ٤٣ ـ ٥٠؛ أنيس فريحة: معجم أسماء المدن والقرى اللبنانيّة، المقدّمة، XX و XXI.

٢ ـ اللغة السريانيّة

١٠٢ ـ تاريخها

انتصرت لغة الآراميّين على لغات الشعوب الساميّة الأخرى انتصاراً تاماً في منتصف الألف الأوّل قبل الميلاد[١٢]. وقد تمّ لها هذا النصر بدون دعم من أيّة قوّةٍ سياسيّةٍ أو عسكريّة، بل بفضل جدارتها وأهليّتها من جهة، وبفضل التّجار الآراميّين ذوي الأسفار البعيدة المدى من جهةٍ أخرى[١٣]. فبعد أن كانت لغة قبائل رحّل تتنقّل في الصحراء الواقعة غربيّ الفرات، إذا بها تُضحي اللغة الرسميّة لشعوب الشرق الأوسط قاطبة، من فارس شرقاً إلى سورية غرباً، ومن أشّور شمالاً إلى فلسطين ومصر جنوباً[١٤]. وقد بلغ امتدادها أيضاً إلى أقاصي الشرق في الصين شمالاً وفي الهند جنوباً، كما أنّها بلغت جنادل النيل[١٥]. وممّا يثير الإستغراب أنّ انتشار الآراميّة بلغ في عهد السلوقيّين[١٦] مبلغاً عظيماً، بالرغم من أنّ هؤلاء كانوا قد نشروا اللغة اليونانيّة كلغةٍ رسميّةٍ في البلاد. وحتّى بعد الميلاد، وفي أنطاكية نفسها، نرى الذهبيّ الفم يشكو من أنّ سامعيه لا يستطيعون فهم مواعظه باليونانيّة، وأنّ الكهنة لا يسمعون سوى السريانيّة الدارجة[١٧].

واللغة الآراميّة، موضوع الكلام، هي نفسها اللغة السريانيّة المعروفة اليوم. والفارق

---

(١٢) الدكتور فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ص ١٨٢.

(١٣) Encyclopaedia Britannica, Vol. III, p. 662.

(١٤) البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث: البراهين الحسيّة، ص ١٠.

(١٥) الأب هنري لامنس اليسوعي.

(١٦) سلوقس: من قادة جيش الإسكندر، حكم سورية وإيران ابتداءً من مطلع المئة الثالثة قبل الميلاد، وتبعه في الحكم أبناؤه الذي دعوا باسمه.

(١٧) الدكتور فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ص ٤٠٩.

بين التسميتّين هو أنّ الأولى ذات دلالة عِرْقيّة، أمّا الثانية فهي تسمية لغويّة، أي أنّها أُطلقت على من تكلّم باللغة السريانيّة[١٨]. ودليلنا على ذلك أنّ الآراميّة التي كَتَبَ بها الفيلسوف وفا الآرامي قبل الميلاد، والتي كُتبت بها الحِكَمُ المنسوبة إلى أحيقار، والتي كُتب بها العهد القديم، لا تختلف عن السريانيّة التي كَتَبَ بها الفيلسوف برديصان والقديس أفرام السرياني ومن جاء بعدهم[١٩].

إذاً، حافظت اللغة الآراميّة على كيانها الأساسيّ عبر العصور. ولكن هذا لا يعني أنّها لم تخضع لأيّ تطوّر. فمن الناحية الأدبيّة انقلبت من كونها لغة الأدباء الوثنيّين قبل المسيح، لتصبح لغة الكثير من الأدباء المسيحيّين؛ ومن ناحية الكتابة وطريقة التدوين، أختُرعت لها أنماط من الخطوط اختلفت من صقعٍ إلى صقع ومن زمنٍ إلى زمن، كما سنبيّن لاحقاً؛ ومن ناحية اللهجات ـ وهنا بيت القصيد ـ إنقسمت إلى لهجتين: شرقيّة وغربيّة، وذلك منذ القرن الثالث بعد الميلاد، عقب الإنقسام الدينيّ الذي صار في الكنيسة المسيحيّة بين النساطرة الذين استوطنوا بلاد فارس شرقاً، وبين الأرثوذكس الذين هم أبناء أمبراطورية الروم غرباً. فنتيجة التباعد الجغرافيّ والزمنيّ إختلفت اللهجة اختلافاً بسيطاً، كما اختلفت طريقة التدوين، ولكنّ اللغة بقيت نفسها.

ومن الفروقات التي تذكر من ناحية التدوين، مثلاً، نظام الحركات. فالشرقيّون اتّبعوا نظام التنقيط للتعبير عن الحركات المختلفة، متأثّرين باللغة العربيّة[٢٠]، أمّا الغربيّون فقد اقتبسوا حركاتهم من الأحرف الصوتيّة اليونانيّة[٢١].

وليست الحركات الشيء الوحيد الذي اقتُبس عن اليونانيّة، لأنّ الناطقين باللغة السريانيّة نقلوا كتاب الغراماطيق اليوناني الذي ألّفه ديونيسيوس الكورنثي، ونقلوه إلى لسانهم، واقتبسوا منه أصول النحو. ولعلّ أفضل من وضع كتاباً في هذا المضمار يعقوب الرهاويّ (٧٠٨ م.)، وعنه نقل إبن العبريّ[٢٢].

لم تزل اللغة السريانيّة في تطوّرٍ وازدهارٍ إلى أن نهضت شقيقتها العربيّة من سباتها

---

(١٨) البطريرك أغناطيوس زكا الأوّل عيواص: كنيسة انطاكية السريانية عبر العصور، ص ٩.

(١٩) البطريرك أفرام الأوّل برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ١٦؛ المطران سويريوس يعقوب توما: تاريخ الكنيسة السريانية الإنطاكية، ج ١، ص ٢٤١.

(٢٠) الدكتور فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٢، ص ١٤٧.

(٢١) Theodore H. Robinson: Paradigms & Exercises, p. 11.

(٢٢) البطريرك أفرام الأوّل برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ٣١ و٣٢.

العميق، وبدأت تزاحمها إلى أن تغلّبت عليها تدريجيّا وحلّت محلّها. ولكن، كيف حدث ذلك ومتى؟

في أواخر القرن السابع وصدر القرن الثامن، بدأ ظلّ السريانيّة يتقلّص في المدن فقط، وبقيت في الأرياف على حالها[٢٣].

وفي أواخر القرن التاسع صارت اللغة العربيّة لغة العامّة في المدن، حتّى أنّ مؤلّفي اللغة السريانيّة وقتئذٍ كحنّان يشوع بن سروشروي (٩٠٢) وأبو الحسن بن علي (٩٠٣)، اضطّروا أن يفسّروا كتبهم باللغة العربيّة[٢٤].

وتعاظم تأثير العربيّة إلى أن احتلّت معظم الأرياف في القرن الخامس عشر. إلاّ أنّ المسيحيّين لم يتنازلوا كلّياً عن لغة أجدادهم المقدّسة، فاتّخذوا حروفها لكتابة المؤلّفات العربيّة، وهذا ما سمّي بالخطّ «الكرشوني»[٢٥]. ولدينا عدّة شواهد على أنّ قرى لبنان كانت في القرن الثامن عشر ما تزال تتكلّم باللغة السريانيّة[٢٦]:

ـ حكى الأخ «غريفون» الراهب الفرنسيسي أنّه، لمّا زار لبنان عام ١٤٥٠، سمع الموارنة يتكلّمون اللغة الآراميّة السريانيّة لغة أجدادهم.

ـ لمّا زار العالم «شاتايل» لبنان، عام ١٦٣٢، سمع أهالي لبنان الشمالي يتكلّمون بالسريانيّة.

ـ روى العالم اللبناني الكبير مرهج بن نمرون البانيّ (١٧١٢) أنّ أهالي بلدة بشرّي وثلاث قرى مجاورة لها كانوا يتكلّمون السريانيّة رجالاً ونساء.

ـ لمّا زار العلاّمة اللبناني يوسف سمعان السمعاني لبنان، عام ١٧٣٦، تحدّث مع أهله في بلدة حصرون باللسان السريانيّ.

وحتّى يومنا هذا، نلمح آثاراً لهذه اللغة على ألسنة بعض القرويّين السوريّين، في معلولا وجوارها.

ولا يفوتنا أن نذكر أنّ السريانيّة تركت أثراً واضحاً على ألسنة الناطقين بالضاد في الأرياف، كما سنبيّن لاحقاً.

---

(٢٣) المرجع السابق، ص ١٥.

(٢٤) منير الياس وهيبة: الزجل، ص ١١ و١٢.

(٢٥) الأب هنري لامنس اليسوعي: تسريح الأبصار، ص ٧٠٧.

(٢٦) منير الياس وهيبة: الزجل، ص ١٢.

رسم بيانيّ يمثّل باختصار شجرة اللغات الساميّة[٢٧]

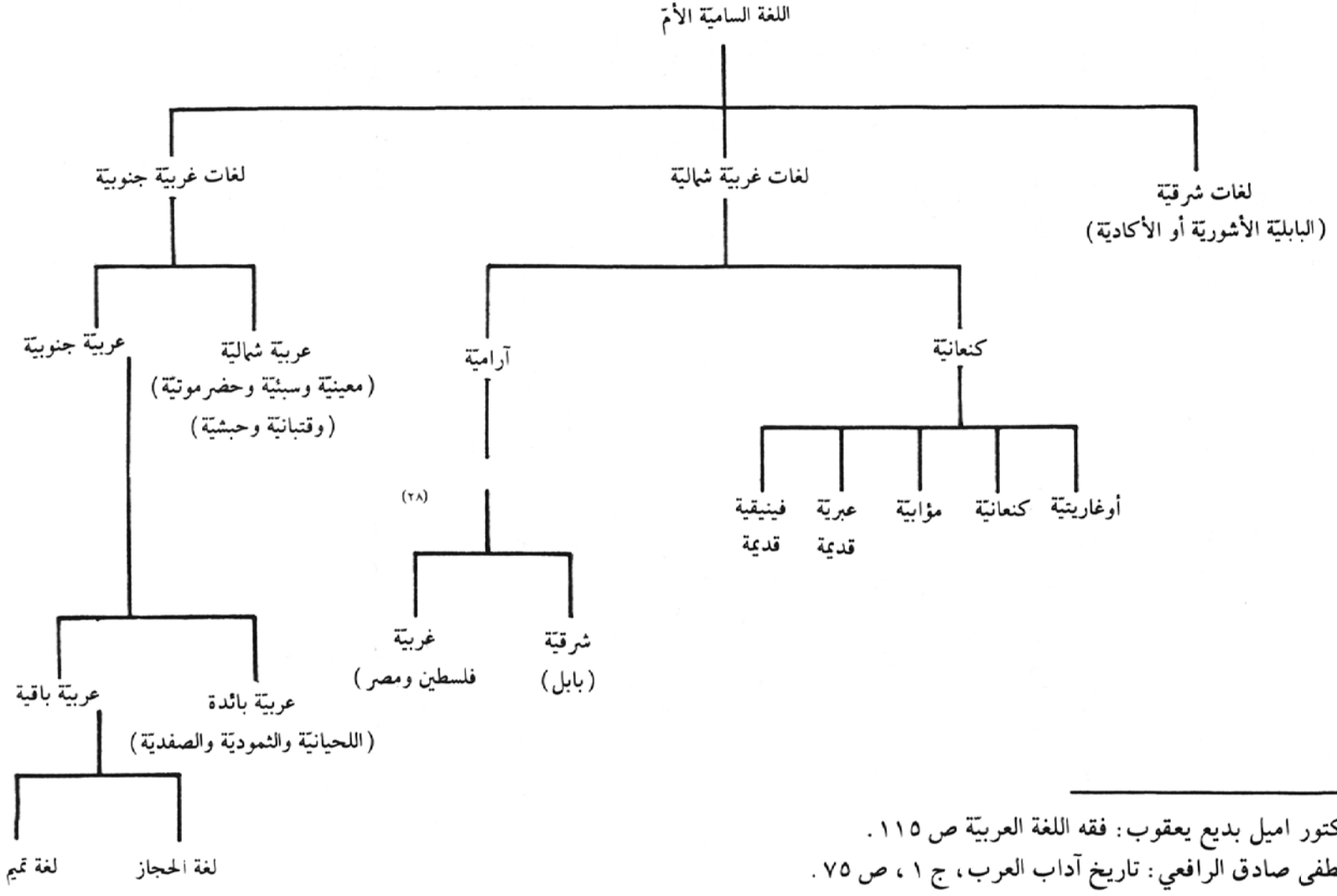

(٢٧) الدكتور اميل بديع يعقوب: فقه اللغة العربيّة ص ١١٥.

(٢٨) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج ١، ص ٧٥.

٣٠٢ ـ أعلامها

يضيق المجال هنا عن ذكر أسماء كلّ الذين كتبوا باللغة السريانيّة عبر التاريخ، وعن إيراد تفاصيل تتعلّق بحياة كلّ منهم. لذلك سأكتفي بذكر بعض المشاهير، مع لمحة سريعة عن كلّ منهم:

- وفا الآرامي[٢٩]: فيلسوف وشاعر من قدماء المؤلّفين، كان موجوداً قبل المسيح بدهرٍ طويل.
- بولس بن عرقا أو عنقا الرهاويّ[٣٠]: برع في صناعة الخطّ، واستنبط الخطّ المعروف بالاسطرنجيلي ܐܣܛܪܢܓܝܠܝ. عاش ما بين القرنين الثاني والثالث.
- أفراهاط الفارسي[٣١]: ولد مجوسيّا، ثمّ تنصّر وترهّب. ألّف كتاباً أسماه البيّنات، وضمّنه ثلاثا وعشرين مقالةً في الإيمان، ومحبّة القريب، والصيام، والصلاة، وقيامة الموتى، والتواضع، وغيرها من المواضيع الهامّة. عاش في النصف الأوّل من القرن الرابع.
- أفرام السرياني[٣٢]: ولد في نصيبين في أوائل القرن الرابع للميلاد. ترهّب وصار شمّاساً. علّم في مدرسة نصيبين نحو ثمانٍ وثلاثين سنة، ثمّ انتقل منها، بعد إغلاقها، إلى الرها حيث وسّع مدرستها، وفتح كنوز علمه ومواهبه. له شروحات للكتاب المقدّس، وحوالي إثني عشر ألفا من القصائد على الوزن السباعيّ الخاصّ به، وعدد من الأناشيد العذبة التي كان يدرّب الفتيان والفتيات عليها فينشدونها في الكنائس. كان غزير الانتاج، وكان في الوقت نفسه سيّداً في الأسلوب. ذاع صيته في حياته، حتّى أنّ أشعاره كانت تُترجم بسرعةٍ إلى اليونانيّة والأرمنيّة والقبطيّة والعربيّة والحبشيّة واللاتينيّة. دافع عن الإيمان النيقاويّ الأرثوذكسيّ وهاجم الآريوسيّة. كانت كتاباته تدور بشكلٍ عامٍّ حول مواضيع: الميلاد، والظهور، والصلب، وغيرها من المواضيع، بالإضافة إلى مواجهة الهراطقة والمنشقين. جاور ربّه في ٩ حزيران عام ٣٧٣ م.

---

(٢٩) البطريرك أفرام الاوّل برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ١٩٠.

(٣٠) المرجع نفسه، ص ١٩١.

(٣١) المرجع نفسه، ص ١٩٥؛ Encyclopaedia Britannica: Vol. XIII, p. 1084.

(٣٢) البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث: اللآلىء المنثورة، ص ١٢؛ ج.ب. سيقال: الرها، ص ١٠٩؛ Encyclopaedia Britannica: Vol. XIII, p. 1084.

- رابولا[٣٣]: أقدم مصوّر سرياني على ما وَصَلَنا. نَسخ الإنجيل المقدّس وتمّقه وزيّنه بستٍّ وعشرين صورة ملوّنة تُعدّ من أدقّ وأجمل ما رسمته ريشة مصوّر. وتمثّل هذه الصور حياة السيّد المسيح في مختلف مراحلها، وبعض أحداث العهد القديم. كان مطراناً للرها. إشتُهر بشخصيّته الصارمة وبساطته وتقشّفه، وتأسيسه عدّة ملاجىء للعجزة والمرضى والمحتاجين. عاش في النصف الثاني من القرن السادس.

- إسحق الكبير[٣٤]: يسمّى أيضاً الرهاويّ والأنطاكي. ولد في آمد (ديار بكر) وتعلّم في مدرسة الرها عند زينوفيوس تلميذ القدّيس أفرام. ترهّب في دير قرب أنطاكية، ثمّ رُسم كاهناً. كان كاتباً أرثوذكسيّاً نِحريراً، إستعمل اللغة السريانيّة. ترك كتابات نثريّة حول الأنظمة النسكيّة، ومواعظ مسجّعة، والعديد من الأشعار ذات الفائدة التاريخيّة الجمّة، والأشعار التي وجّهها ضدّ النساطرة واليعاقبة.

- فيلوكسينوس المنبجي[٣٥]: من كبار أئمّة اللغة السريانيّة، وله فيها مؤلّفات عديدة. ولد في أواسط القرن الخامس وتوفّي شهيداً عام ٥٢٣ م.

- يعقوب السروجي[٣٦]: ولد عام ٤٥١. درس اللاهوت والفلسفة والعلوم اللغوية في مدرسة الرها. رُسم كاهناً فأسقفاً. كان شاعراً مبدعاً، إبتكر الوزن الإثني عشريّ الذي عُرف باسمه، ونظم عليه نحو ٧٦٠ قصيدة، بلغت أبيات بعضها الألفين والثلاثة. وله أيضاً عدّة رسائل وخطب قيّمة. توفّي عام ٥٢٠.

- يوحنّا الأفسسي[٣٧]: وُلد حوالي عام ٥٠٧ م. ترهّب في صباه. أتقن اللغتين السريانيّة واليونانيّة. رُسم مطراناً عام ٥٥٨. أطلق عليه لقب: مؤلّف تاريخ البيعة. توفّي عام ٥٨٦ م.

---

(٣٣) المطران إسحق ساكا: الكتاب المقدّس في كنيسة انطاكية السريانيّة، ص ٣٢؛ ج.ب. سيغال: الرها، ص ١١١.

(٣٤) خريسوستمس بابادوبولس: تاريخ كنيسة أنطاكية، ص ٤٧٧.

(٣٥) البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث: اللآلىء المنثورة، ص ١٢١.

(٣٦) البطريرك أغناطيوس زكّا الآل عيواص: أهل الكهف في المصادر السريانيّة، ص ٧.

(٣٧) البطريرك أغناطيوس زكا الأوّل عيواص: أهل الكهف، ص ١٤.

- إبن العبري[٣٨]: أشهر علماء السريان. ولد عام ١٢٢٦ في مدينة ملطية في أرمينية الصغرى. ترهّب ورُسم كاهناً فأسقفاً، وسُمّي غريغوريوس، وبعد ذلك صار مفريناً للمشرق[٣٨]. صنّف كتباً نفسية في مختلف العلوم، نذكر منها كتابه في علم النحو الذي سمّاه ܟܘܬܒܐ ܕܙܘܥܐ أي كتاب الأشعّة، الذي اعتمد عليه جميع النحاة الذين جاؤوا بعده. توفّي عام ١٢٨٦.

٣٠٢ ـ خطوطها

وجدت كتابات آراميّة بالخطّ الفينيقي، في شمالي أنطاكية وفي خرائب نينوى وجزيرة أصوان بمصر، يرتقي عهد أقدمها إلى القرن الثامن قبل الميلاد. ويبدو أنّ الآراميّين اتّخذوا الحرف الفينيقي واستخدموه لتدوين لغتهم، وظلّوا يستعملونه إلى القرن الأوّل قبل الميلاد. عندئذٍ أخذ آراميّو الرها وبابل وتدمر والشام وفلسطين وحوران يتفنّنون فيه، حتّى تفرّع منه لكلّ قومٍ قلم خاصّ بهم[٣٩].

ويبدو أنّ خطّ الرها كان أجمل من سواه. وفي أواخر القرن الثاني للميلاد برز من الرها فنّان هو بولس ابن عرقا (أو عنقا)، إبتكر خطّاً جميلاً جديداً دعي بالـ ܐܣܛܪܓܓܠܝܢ، وهي كلمة يونانيّة στραγγύλος تعني المستدير[٤٠] ويفيد رأي آخر: لا بل إنّها من الكلمة اليونانيّة εὐαγγέλιον التي تعني «الإنجيل»، وبما أنّ هذا الخطّ استُعمل أوّلاً في نسخ الإنجيل، فقد دُعي بالإسطرنجيلي[٤١].

وأيّاً يكن سبب التسمية، فقد أخذ الكتبة والنقلة يتفنّنون في هذا الخطّ، فكتبوه على أشكال ثلاثة: غليظ ومتوسّط ودقيق، مع تفاوتٍ ضئيلٍ في الحسن بينها. وقد أحصى كاتبٌ «اللؤلؤ المنثور» زهاء مئة وثلاثين خطّاطاً حاذقاً بالخطّ الإسطرنجيلي، من سنة ٤٦٢ م إلى سنة ١٢٦٤[٤٢].

---

(٣٨) البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث: اللآلىء المنثورة، ص ١٤٨؛ القس بولس الخوري الكفرنيسي: غرامطيق اللغة الارامية السريانية، المقدّمة ص يز؛ وللاستزادة حول إبن العبري أنظر أيضاً:
المطران غريغوريوس بولس بهنام: يوحنّا إبن العبري حياته وشعره. حلب، مطرانيّة السريان الأرثوذكس، ١٩٨٤.

(٣٩) القس بولس الخوري الكفرنيسي: غرامطيق اللغة الاراميّة السريانيّة، المقدّمة، ص يه.

(٤٠) المرجع نفسه، المقدّمة، ص يه.

(٤١) المطران سويريوس يعقوب توما: تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، ج ١، ص ١١٩.

(٤٢) البطريرك أغناطيوس أفرام الأوّل برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ٢٧.

وثمّة من يرى أنّ هذا الخطّ هو أهمّ الخطوط السريانيّة على الإطلاق[٤٣].

ولم يقتصر إستعمال هذا الخطّ على تدوين الإنجيل فقط، لأنّ كتّاب اللغة السريانيّة أخذوا يستعملونه في تدوين مؤلّفاتهم، حتّى القرن الرابع عشر. عندئذٍ أحالوه إلى التقاعد، وصار استعمالهم له مقتصراً على العناوين الكبرى ورؤوس الفصول[٤٤].

وحلّ محلّ الإسطرنجيلي، عند الغربيّين (الموارنة واليعاقبة)، في حدود القرن السابع، قلم دعي بالسريانيّة ﷺ ؛ وعند الشرقيّين، في حدود القرن الثاني عشر، قَلَمٌ دُعي بالكلدانيّ أو النسطوريّ[٤٥].

وما برح الغربيّون يتفنّنون بالـ ﷺ ، حتّى كتبوه في ثلاثة أشكال: غليظ ومتوسّط ودقيق، ثمّ وصلوا بالدقيق إلى النمط المسمّى بالكركريّ (نسبة الى بلدة كركر بين ديار بكر والرها). وسبب التسمية أنّ خطّاطي بلدة كركر «نمنموا خطّاً دقيقاً في غاية الحسن، كأنّ سطوره سبائك الفضّة»[٤٦]، وكان ذلك ما بين سنتي ١٥٧٧ و١٨٢٠.

أمّا الحركات، فقد عبّر عنها الشرقيّون بنظام من التنقيط[٤٧]، بحيث يعبّر وضع النقط وعددها عن الحركات المختلفة. أمّا الغربيّون، فقد اقتبسوا من الأحرف الصوتيّة اليونانيّة خمس حركات، وقد قام بهذه العمليّة ثاوفيلوس الرهاويّ (المتوفّي عام ٧٨٥) عندما ترجم كتابي هوميروس الإلياذة والأوديسّة إلى السريانيّة[٤٨].

٤٠٢ ـ خصائصها

نجد في اللغات المتحدّرة من اللغة الساميّة الأمّ خصائص مشتركة[٤٩]، أهمّها:

وجود فعل ثلاثيّ كمصدرٍ أساسي.

ـ وجود زمنين للفعل هما الماضي والمضارع.

---

(٤٣) Encyclopaedia Britannica, Vol. III, p. 662.

(٤٤) المطران سويريوس يعقوب توما: تاريخ الكنيسة السريانيّة الأنطاكيّة، ج ١، ص ١١٩.

(٤٥) القس بولس الخوري الكفرنيسي: غرامطيق اللغة الآرامية السريانية، المقدّمة، ص يه.

(٤٦) البطريرك أغناطيوس أفرام الأوّل برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ٣٠.

(٤٧) الدكتور فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ص ١٤٧.

(٤٨) القس بولس الخوري الكفرنيسي: غرامطيق اللغة الآراميّة السريانيّة، المقدّمة، ص يو.

(٤٩) الدكتور فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ص ٦٦.

ـ الكلمات الأساسيّة، كالضمائر الشخصيّة، والأسماء التي تدلّ على القرابة، والأعداد، وأعضاء الجسم الرئيسيّة، متشابهة كثيراً في كلّ اللغات الساميّة.

هذا أهمّ ما بقي من خصائص مشتركة بين هذه اللغات. لكنّ نقاط الإختلاف أكبر بكثير، وليس هنا مجال عرضها. وإنّ من اللغات الساميّة ما بقي أقرب من سواه إلى اللغة الأمّ، ومنها ما ابتعد بشكلٍ ملحوظ.

وهنا، لا بدّ من الاشارة إلى أنّ اللغة العربيّة أقرب من السريانيّة الحاليّة إلى اللغة الأمّ، ولعلّها أكثر اللغات الساميّة وفاءً للأصل[٥٠]. وقد علّل الدارسون الأمر بأنّ العربيّة هجعت في البادية لفترةٍ طويلةٍ من الزمن، كانت خلالها سائر شقيقاتها تتقلّب بين الحضارات وبين التبعيّة لهذا أو ذاك من أطوار العمران. وعندما نهضت العربيّة، واحتلّت الميدان، كانت محتفظةً بجانبٍ كبيرٍ من الخصائص التي تربطها بأمّها، وبعد ذلك حُفظت وتيسّر لها من يصونها ويثبّتها، ولم تتعرّض لتغييراتٍ جوهريّة[٥١].

سأحاول، في ما يلي، أن أُسلّط الأضواء على بعض العناصر اللغويّة التي ابتعدت بها اللغة السريانيّة الحاليّة عن اللغة الأمّ[٥٢]. ولست لأعطي رأيي في اعتبار هذا الابتعاد تطوّراً أو انحداراً، وانّما أكتفي بالموضوعيّة العلميّة، عارضاً بعض العناصر التي فقدتها السريانيّة عبر الزمن، على ما يُظنّ:

ـ الإبتداء بحرف متحرّك في أوّل الكلمة: كان هذا في اللغة الساميّة الأمّ، وكان في السريانيّة القديمة كما يتّضح من لهجتها الفلسطينيّة. وفي العربيّة الحاليّة أيضاً تبتدىء الكلمة بمتحرّك. أمّا السريانيّة الحاليّة فتبتدىء بساكن، نحو ܠܡܐ ܫܒܩܬܢܝ (لِمَ تَرَكْتَني)؛ وكانت في اللهجة الفلسطينيّة: ܠܡܐ ܫܒܩܬܢܝ

ـ كَسْرُ ما قبل ياء المتكلّم، وكسر كاف المخاطبة (المؤنّث المفرد) مع الفعل الماضي والفعل المضارع، وكسر ما قبل ياء المخاطبة في الأمر: كان هذا في اللغة الأمّ، تماماً كما في العربيّة الحاليّة. أمّا في السريانيّة الحاليّة فالحرف قبل ياء المتكلّم ساكن، وبالتالي تُكتب الياء ولا تُلفظ؛ وكذلك كاف المخاطبة (المؤنّث المفرد) تُكتب بعدها ياء ولا تُلفظ؛ وأيضا ياء المخاطبة مع فعل الأمر تُكتب

---

(٥٠) البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث: البراهين الحسيّة، ص ١٠.

(٥١) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج ١، ص ٧٥ و٧٦.

(٥٢) البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث: البراهين الحسيّة، ص ١٠ و١١.

ولا تُلفظ. فنقول اليوم: ܚܟܡܬ (تَرَكْتَني)، ܡܟܡ (قَتَلَكِ)، ܩܡ (قُومي)؛ وكانت في اللهجة الفلسطينيّة: ܚܟܡܬ . ܡܟܡ ، ܩܡ .

- تحريك حرف المضارعة في جميع الأحوال: هذا كان قديما، وظهر في اللهجة الفلسطينيّة، واحتفظت به العربيّة إلى اليوم. أمّا السريانيّة الحاليّة، فتُسكن حرف المضارعة إذا كان الفعل أَجْوَفَ، نحو: ܢܩܘܡ (يقوم).

- حرف المضارعة للمذكّر المفرد الغائب هو ياء، وللمتكلّم الجمع هو نون. هذا ما حفظته العربيّة، وما كان مستمرًّا في اللهجة السريانيّة الفلسطينيّة. أمّا السريانيّة الحاليّة، فتستعمل النون كحرف مضارعة في الحالتين، فتقول مثلا:
ܗܘ ܢܟܬܘܒ (هو يكتب)، ܚܢ ܢܟܬܘܒ (نحن نكتب)؛
وكانت اللهجة السريانيّة الفلسطينيّة تقول: ܗܘ ܢܟܬܘܒ ، ܚܢ ܢܟܬܘܒ ولهجة معلولا اليوم، يرد فيها: ܢܚܢ بدلاً من ܚܢ .

٥٠٢ ـ آدابها

تصحّ المقولة: « إذا اعتُبرت ثقافة اليونان حكميّةً، وثقافةُ العرب بيانيّةً، فإنّ ثقافة السريان تُعدّ دينيّة »[٥٣]. ذلك أنّ ما وصل إلينا من الأدب السريانيّ هو نِتاجُ عقولٍ مسيحيّةٍ كنسيّة، وعصارةُ أقلامِ إكليريكيّين في معظمه.

ولا يعني هذا أنّ الآراميّين، قبل المسيح، لم يكتبوا أدباً، لا بل من الثابت والمؤكّد أنّ أدبهم كان في غاية الرقيّ. وما وصلنا من شذراته ناجياً من بطش القَدَر ينطق بذلك، أعني كتابات الفيلسوف وفا الآرامي، والحكم المنسوبة إلى أحيقار وزير سنحاريب ملك أشور ونينوى... ولكن، أين ذلك الأدب؟

إنّ أجدادنا لمّا اعتنقوا الدين المسيحيّ، وأقبلوا عليه بشغفٍ بالغ، أدركوا بطلان المعتقدات الوثنيّة، فأنكروها. وزيادةً في احتقار الوثنيّة واستبعادها، وحرصاً على ألاّ يقع أولادهم في شركها، بدأوا يحرقون كلّ ما يذكّرهم بها من آثار مدنيّة وعلميّة، ومن بينها الكتب[٥٤].

على كلّ حال، نحن اليوم أمام خزانةٍ أدبيةٍ ملأى بالذخائر، فيها الآداب الكتابيّة

---

(٥٣) البطريرك أغناطيوس أفرام الأوّل برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ١٨.
(٥٤) المرجع نفسه، ص ١٧.

والطقسيّة والجدليّة واللاهوتيّة والتاريخيّة والنقليّة. هذه الخزانة قديمة العهد وعريقة، ترقى إلى القرون الأولى للمسيحيّة. في ذلك الوقت، إنطلق الأدب السريانيّ المسيحيّ انطلاقةً قويّة، جعلته يبرز كندّ إزاء الأدبين اليوناني واللاتيني، العملاقين الغنيّين عن التعريف. كان الأدب السريانيّ يحمل فكراً لاهوتيّاً أصيلاً، يرتكز بشكل جوهريّ على الكتاب المقدّس، إرتكازاً يدلّ على مدى تمسّك المؤمنين به، ومهارتهم في قراءته والتعاطي معه[٥٥]. ويعود الفضل في ذلك الإزدهار الأدبيّ إلى مركزين هامّين، هما نصيبين والرها.

- نصيبين: أسّس القدّيس يعقوب، أسقف نصيبين، في الربع الأوّل من القرن الرابع، مدرسةً سريانيّةً عالية، أمَّها الطلاّب من بلاد الشرق، ومن أشهرهم القدّيس أفرام السرياني[٥٦]، الذي علّم فيها بعد تخرّجه نحو ثمانٍ وثلاثين سنة، فلمّا سقطت بأيدي الفرس جاء إلى الرها.

- الرها Edessa (حاليّا أورفا في تركيّا): من أقدم مدن الشرق. كانت عاصمة إمارةٍ سريانيّةٍ في ما بين النهرين العليا، حكمها الملوك السريانيّون المعروفون بالأباجرة مدّة أربعة قرون، إبتداءً من سنة ١٣٢ ق.م.[٥٧]. قبل نهاية القرن الثاني، أصبحت الرها قاعدةً لنشر الإيمان المسيحي، وكان فيها طائفة مسيحيّة منظّمة. وكانت أديرتها وكهوفها مساكن للقدّيسين والعلماء والشعراء[٥٨]. ومن أبرز الذين عزّزوا الإيمان فيها تاتيانوس واضع كتاب الدياتسّارون (أي منسّق الأناجيل الأربعة)[٥٩]. وعندما جاء القدّيس أفرام السريانيّ من نصيبين، عام ٣٦٣، أعاد تنظيم مدرستها اللاهوتية، وفتح فيها كنوز علمه، مكرّساً لها السنوات العشر الأخيرة من عمره. ومن أبرز الذين تعلّموا فيها القدّيس إسحق الكبير المدعوّ أيضاً إسحق الرهاويّ، الذي كان خصماً عنيداً للنساطرة واليعاقبة[٦٠].

---

(٥٥) Encyclopaedia Britannica: Vol. XIII, p. 1084.

(٥٦) المطران سويريوس يعقوب توما: تاريخ الكنيسة السريانيّة الانطاكيّة، ج ١، ص ٢٤١.

(٥٧) المرجع نفسه، ج ١، ص ٨٤.

(٥٨) ج.ب. سيغال: الرها، ص ٢؛ الدكتور فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١ ص ٣٧١.

(٥٩) خريسوستمس بابادوبولس: تاريخ كنيسة أنطاكية، ص ٨٤ و٩٩.

(٦٠) المرجع نفسه، ص ٤٧٧.

كان لمدرسة الرها الفضل في ترجمة ما كتبه الآباء باللغة اليونانيّة إلى اللغة السريانيّة[٦١]. وكانت نهايتها عام ٤٨٩ عندما هدمها الأمبراطور زينون. إلاّ أن أساتذتها إنتقلوا إلى نصيبين التي أصبحت وريثة الرها كمركزٍ علميٍّ سريانيٍّ ـ يونانيّ[٦٢].

قصة أبجر والسيّد المسيح

يحكى أنّ أبجر الخامس أوكّما (الأسود)، ملك الرها، كان يشكو من برصٍ ألمّ به، فأنفذ إلى السيّد المسيح رسالة بالسريانيّة، مع وفد برئاسةٍ حنانيا (يو ١٢ : ٢٠ ـ ٢٢) معترفاً بألوهته، وسائلاً إيّاه القدوم إليه ليشفيه من برصه. ثمّ يدعوه ليسكن معه في مدينته الصغيرة الجميلة التي تكفي لكليهما، حيث يمكنه أن يرتاح من خطر اليهود الذين يهدّدونه بالموت. فكان جواب الربّ أن بارك مدينته، ووعده بأن يرسل له أحد تلاميذه، بعد صعوده إلى أبيه، فيشفيه من عاهته ويعلّمه وَمَنْ معه طريق الخلاص[٦٣]. وهذا ما فعله الرسول توما، بعد صعود السيّد، إذ أنفذ إلى الرها آدي (أو تدّاوس) وأنجز ما وعد به السيّد.

قصة أهل الكهف[٦٤]

هي قصة سبعة فتيان (أو ربّما ثمانية) هربوا من اضطهاد داقيوس للمسيحيّين. وعندما جاء الأمبراطور المذكور إلى مدينتهم أفسس، لم يذعنوا لأمره في تقديم العبادة للأصنام، ثمّ فرّوا من وجهه واختبأوا في كهف يقع في أحد الجبال في ضواحي أفسس. أمر الملك بسدّ باب الكهف عليهم بالحجارة ليُدفنوا فيه أحياء. وهكذا رقدوا في منتصف القرن الثالث تقريباً، وعادت إليهم أرواحهم في منتصف القرن الخامس تقريباً، على عهد الأمبراطور المسيحي ثيودوسيوس الصغير، فكانوا شهوداً للقيامة والحياة الأبديّة. يوجد نصّان أساسيّان لهذه القصة باللغة السريانيّة: الأوّل نثريّ كتبه زكريّا الفصيح ويوحنا الأفسسي في القرن السادس؛ والثاني قصيدة في أربعةٍ وسبعين بيتاً للشاعر السرياني الملهم يعقوب السروجي.

---

(٦١) المطران سويريوس يعقوب توما: تاريخ الكنيسة السريانيّة الانطاكيّة، ج ١، ص ٣٠٠.
(٦٢) الدكتور فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ص ٤٠٩.
(٦٣) المرجع السابق، ج ١، ص ٨٥.
(٦٤) البطريرك أغناطيوس زكا الأوّل: أهل الكهف في المصادر السريانيّة.

وفي سياق الحديث عن آداب السريانيّة، نذكر أنّ ماني الفيلسوف كتب ستّة كتبٍ بهذه اللغة مخترعاً أبجديّة خاصّة[٦٥]. ويرجّح الأب هنري لامنس اليسوعي أنّ أوريجنّس كان يعرف اللغة السريانيّة ويقتبس من أنوارها، وكذلك أوسابيوس القيصري ويوحنّا الدمشقي[٦٦].

نعود إلى القول بأنّ ثقافة السريان دينيّة، لنؤكّد أنّ هذا لا يعني أنّهم لم يكتبوا في حقولٍ أخرى. فها التاريخ العربي يشهد على الدور الأساسي الذي لعبه المسيحيّون الناطقون بالسريانيّة في نهضة العرب الفكريّة، وذلك عن طريق الترجمات النفيسة جدًّا التي نقلت كنوز اليونان العلميّة والفلسفيّة إلى اللغة العربيّة، مروراً باللغة السريانيّة. ومن أشهر المترجمين[٦٧]:

- يوحنّا بن ماسويه الذي ترجم لهارون الرشيد عدداً من الكتب في الطب.

- حنين بن إسحق الذي أقامه المأمون على بيت الحكمة، فكان ينقل الكتب من اليونانيّة إلى السريانيّة ثمّ يدفعها إلى تلاميذه فيعرّبونها، وهكذا نقل معظم مؤلّفات أرسطو وجالينوس إلى العربيّة.

- يحيى بن عَدِيّ (٩٧٤) الذي عمل على تهذيب ترجمات من سبقوه وترجم كتباً غيرها في الفلسفة.

- قسطا بن لوقا البعلبكيّ (٦١٢) الذي اشتهر بترجمة المؤلّفات الرياضيّة والفلسفيّة.

---

(٦٥) المطران سويريوس يعقوب توما: تاريخ الكنيسة السريانيّة الأنطاكيّة، ج ١، ص ١٥٥.

(٦٦) الأب هنري لامنس اليسوعي، المشرق، ج ٦، ١٩٠٣، ص ٧٠٧.

(٦٧) الدكتور فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٢، ص ١٧٤ - ١٧٧.

٣ ـ الكتاب المقدّس باللغة السريانيّة

١٠٣ ـ العهد القديم

كُتبت معظم أسفار العهد القديم، أساساً، باللغة العبريّة، ما عدا أجزاء من دانيال وعزرا ونحميا كتبت بالآراميّة[٦٨]. ولمّا رجع اليهود من السبي البابليّ كانوا قد نسوا العبرانيّة، وقد اتّخذوا اللسان الآراميّ وسيلة للنطق، فواجهوا مشكلة عدم فهم الكتب المقدّسة. لذا، انبرى أصحاب المعرفة منهم للمهمّة، فكانوا يقرأون الأسفار «جهرا مبلّغين المعنى حتّى يفهم الشعب» (نحميا ٨ :٨). وهكذا ولدت أوّل ترجمة للعهد القديم باللغة السريانيّة القديمة، وسمّيت «ترجومات»، وهي التي يطلق عليها البعض إسم «الكلدانيّة». وتكمن أهمّيّة هذه الترجمة اليوم، في أنّها تبيّن كيف كان اليهود يفهمون بعض الجمل المستعصي فهمها علينا الآن[٦٩].

وفي ما يتعلّق بالترجمة الكاملة للعهد القديم إلى اللغة السريانيّة، فقد ظهرت ترجمتان:

- البسيطة ܦܫܝܛܬܐ[٧٠]: سمّيت كذلك لترك البلاغة في نقلها. أنجزها جماعة من اليهود المتنصّرين في أواخر القرن الاوّل للميلاد. وجدت لها عدّة مخطوطات، يعود تاريخ أقدمها إلى عام ٤٤٢ م.
- السبعينيّة[٧١]: سمّيت بهذا الإسم لأنّها نُقلت عن الترجمة السبعينيّة اليونانيّة التي

---

(٦٨) المطران سويريوس يعقوب توما: تاريخ الكنيسة السريانيّة الأنطاكية، ص ١١٧؛ البطريرك أغناطيوس أفرام الأوّل برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ١٥.

(٦٩) قاموس الكتاب المقدّس، ص ٧٦٨.

(٧٠) المرجع نفسه، ص ١٠؛ Encyclopaedia Britannica: Vol. II, p. 889.

(٧١) المطران إسحق ساكا: الكتاب المقدّس في كنيسة أنطاكية، ص ١٠ و١١.

كان اليهود قد أنجزوها عام ٢٨٠ ق.م. أمّا السبعينيّة السريانيّة فقد أنجزها بولس مطران تل موزلت سنة ٦٢٥ ـ ٦١٧ م.، بأمر أثناسيوس الأوّل بطريرك أنطاكية.

٢٠٣ ـ العهد الجديد

كُتِبَ العهد الجديد، أساساً، باللغة اليونانيّة، ما خلا إنجيل متّى الذي كان موجّهاً إلى المتنصّرين من يهود فلسطين، وكانت لغتهم آنذاك الآراميّة السريانيّة، فكُتب بها[٧٢]. وعندما خرجت البشارة إلى سورية وما بين النهرين وغيرهما، حيث كانت السريانيّة هي اللغة السائدة، برزت الحاجة إلى ترجمة العهد الجديد إلى هذه اللغة، فظهرت الترجمات التالية[٧٣]:

- الترجمة البسيطة: يرمز اليها بـ Syr^{pesh}. أُنجزت ما بين نهاية القرن الأوّل ومطلع القرن الثاني. لم تحتوِ على كلّ أسفار العهد الجديد، بل كان ينقصها رسالتا يوحنّا الثانية والثالثة، ورسالة بطرس الثانية، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنّا. والسبب في عدم ترجمة هذه الأسفار أنّ الكنيسة لم تكن قد اعترفت يومئذٍ بقانونيّتها.
- الترجمة الفيلوكسينيّة: يرمز إليها بـ Syr^{phil}. أنجزها بوليكربوس خور أسقف منبج عام ٥٠٥ م، بطلبٍ من فيلوكسينوس مطران منبج، فأُطلق اسم المطران عليها.
- الترجمة الحَرْقَليّة: يرمز اليها بـ Syr^{harc}[٧٤]. أنجزها توما الحرقليّ مطران منبج عام ٦١٦. وتعتبر هذه الترجمة تصحيحاً وتهذيباً للترجمة الفيلوكسينيّة.
- الترجمة السريانيّة الفلسطينيّة: يرمز اليها بـ Syr^{pal}. يعود تاريخها إلى أواخر القرن الخامس، وقد وُجدت نسخةٌ منقّحةٌ منها بخطّ يعقوب الرهاويّ (المتوفّي عام ٧٠٨ م). تمتاز هذه الترجمة بنصّها الذي لا يعتمد على سائر الترجمات، وبأنّ نصوصها مقسّمة بطريقة القراءات الكنسيّة[٧٥].

---

(٧٢) المرجع السابق، ص ١١.

(٧٣) المرجع نفسه، ص ١١-١٤؛ قاموس الكتاب المقدّس، ص ٧٦٩.

(٧٤) Encyclopaedia Britannica: Vol. II, p. 945.

(٧٥) المرجع نفسه Vol. II, p. 945, 889.

- الدياتسّارون διά τεσσάρων[٧٦] : كتاب وضعه تاتيانوس الفيلسوف، تلميذ يوستينوس الشهيد، باللغة السريانيّة أوّلاً، ثمّ نقله إلى اليونانيّة. تألّف هذا الكتاب من خمسة وخمسين فصلاً، إبتدأها المؤلّف من الآية الأولى من إنجيل يوحنّا (في البدء كان الكلمة...)، ثمّ مضى في ترتيب حوادث الإنجيل الواردة في روايات الانجيليّين الأربعة، فحبكها ونسّقها في كتابٍ واحد، ولكنّه أَنْقَصَ منها سلسلة نَسَبِ المسيح.

إنتشر الدياتسّارون انتشاراً واسعاً من أواخر القرن الثاني وحتّى القرن الخامس، واستشهد به العلاّمة أفرهاط الفارسي، وفسّره أفرام السريانيّ[٧٧]. فُقِدَ النصُّ الأصليّ للتفسير الذي وضعه أفرام باللغة السريانيّة، وبقيت ترجمتُهُ باللغة الأرمنيّة[٧٨].

(٧٦) كلمة يونانيّة تعني «خلال الأربعة»، ترجمها الأسقف استفانس حدّاد بـ «منسّق الأناجيل الأربعة». أنظر: خريسوستمس بابادوبولس: تاريخ كنيسة أنطاكية، ص ٨٤ و٩٩.

(٧٧) المطران سويريوس يعقوب توما: تاريخ الكنيسة السريانيّة الانطاكيّة، ج ١، ص ١١٩.

(٧٨) قاموس الكتاب المقدّس، ص ٧٦٨.

٤ ـ السريانيّة والعربيّة

بَدَهِيٌّ القول إنّ السريانيّة والعربيّة تشتركان بكثيرٍ من الخصائص اللغويّة، وبكثيرٍ من المفردات المتشابهة. فاللغتان شقيقتان، إنحدرتا من أصلٍ واحد. من هنا، أقول إنّي لست مع النظريّات المتطرّفة التي يطلقها بعض دارسي اللغة السريانيّة، الذين كلّما رأوا كلمةً مشتركةً بين اللغتين المذكورتين، سارعوا إلى القول: أنظروا، هذه كلمة سريانيّة الأصل أخذتها العربيّة عن السريانيّة. وفي الوقت نفسه لا أؤيّد التطرّف المعاكس لجهة العربيّة. فكثير من المفردات مشترك، ليس بين العربيّة والسريانيّة وحسب، بل بينهما وبين العبريّة، مثلا، أو سواها من اللغات الساميّة. فماذا نقول إذاً في أصل كلماتٍ كهذه؟ أهي عبريّةُ الأصل؟ أم عربيّتُه؟ أم سريانيّتُه؟ أليس من المحتمل أن تكون هذه اللغات جميعاً قد أخَذَتْ عن أصلٍ واحدٍ قديم؟

إلاّ أنّه من الإنصاف القول إنّ الأمر لا يخلو من بعض التبادل. وما على الدارس إلاّ أن يستشكف الألفاظ التي يظنّ أنّها انتقلت من لغةٍ إلى أخرى، عبر التطوّر التاريخي، وأن يعرضها من باب الإحتمال والشكّ العلميّين، لا من باب الجزم والقطع.

١٠٤ ـ السريانيّة والعربيّة الفصحى:

من جهة الخطّ، اقتبست العربيّة، قبل الإسلام بقرنٍ واحدٍ تقريباً، من الخطّ السريانيّ الإسطرنجيلي، أبجديّتها وخطّها الذي عرف بالكوفيّ. وكما استُعمل الإسطرنجيلي لكتابة الإنجيل، إستعمل الكوفيّ لكتابة القرآن[٧٩].

---

(٧٩) البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث: البراهين الحسيّة، ص ١٢.

ومن جهة الألفاظ، نلاحظ أنّ مئات الألفاظ تتشابه بين اللغتين معنًى ولفظاً. فربّما تكون هذه الألفاظ إرثاً مشتركاً من اللغة الأكاديّة، أو لعلّها ممّا استقرضته الواحدة من الأخرى[٨٠]. وانّ اللفظة المشتركة لا تخلو من تعديل طفيف يطرأ على لفظها عندما تنتقل من لغة الى أخرى، فحرف الشين في السريانيّة غالبا ينقلب سيناً في العربيّة؛ وحرف الصاد ضاداً؛ وحرف الحاء خاءً... وما إلى ذلك[٨١].

وانّ من يتقن السريانيّة، لا يعود يستغرب ورود كلمات مثل: حيوة وصلوة في القرآن بالواو لا بالألف، وكلمات مثل: سِرَط والله وبِسْمِ والرَّحْمَن بدون ألف، وذلك لأن مقابلها بالسريانيّة: ܣܪܛܐ ، ܘܟܬܒ ، ܗܘܝܐ ، ܟܬܒܐ ، ܚܝܐ ، ܫܡܐ .

واليك بعض الكلمات التي وردت في نصوص عربيّة، ويعتقد أنّ أصلها سريانيّ، لأنّ معانيها الحقيقيّة لا تنجلي الاّ بالعودة الى تلك اللغة[٨٢]:

زقفونا ــ ܙܩܦܘܢ = صلبونا (وردت في رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي).

اللصوت ــ ܠܨܘܬܐ = اللصوص (عهد عمر بن الخطّاب لأهل ايلياء).

فاروق ــ ܦܘܪܘܩܐ = مخلّص (لقب أطلقه السريان على عمر بن الخطّاب).

يقلّسون ــ ܩܠܣܝܢ = يمدحون (وردت في تاريخ البلاذري).

الحيرة ــ ܚܝܪܬܐ = القصر.

المعرّة ــ ܡܥܪܬܐ = المغارة.

الكرخ ــ ܟܪܟܐ = المدينة المدوّرة.

تدمر ــ ܬܕܡܪ = أعجوبة.

الكوفة ــ ܟܘܦܬܐ = الشوكة.

مكّة ــ ܡܟܟܐ = الأرض المنخفضة والمنبسطة.

تكريت ــ ܬܟܪܝܬ = التجارة.

---

(٨٠) المرجع السابق، ص ١٢.
(٨١) المرجع نفسه، ص ١٤.
(٨٢) المرجع نفسه، ص ١٦.

واليك أيضا الكلمات الآتية[٨٣]:

فرقان ــ ܦܘܪܩܢܐ = خلاص، نجاة (سورة الأنفال: ٢٩، ٤٢).

كاهن ــ ܟܗܢܐ = كاهن، مقرّب الذبائح (سورة البقرة: ٣٧؛ آل عمران: ٩).

قسيس ــ ܩܫܝܫܐ = قسيس، شيخ، قديم (سورة المائدة: ٨٥).

٢٠٤ ـ السريانيّة والعربيّة الدارجة في لبنان وسورية

ما يميّز اللهجة في لبنان وسورية بشكلٍ عامٍّ عن سائر اللهجات العربيّة، هو الطابع الحميم الذي تركته اللغة السريانيّة. فهذه اللغة، ولئن رحلت عن ألسنة الناس في هذي الديار، إلاّ أنّها خلّفت آثاراً لا تمحى. وها هو الأديب ميخائيل مسعود يلفت النظر إلى اللهجة اللبنانيّة الشماليّة المتميّزة بالضمّ المشبع الذي يُعزى إلى السريانيّة: «سمعتهم في ددّة يقولون: بيجامو، وفي القلمون: إحنَوْا [بدلاً من: بيجاما ونَحْنُ]، وفي زغرتا: مْروقْ، أي مُرَّ، وفي أميون يقولون للكرسي: كورسي، وهي (كورسيو) بالسريانيّة»[٨٤].

وإليك أيضاً قائمةً بكلماتٍ سريانيّةٍ تبنّتها لغتنا الدارجة[٨٥]:

ܚܘܚܡܐ ــ إشبين = كافل الطفل في العماد، وشاهد الزواج.

ܚܫܫ ــ بَحَشْ = حَفَرَ الترابَ ونحوَهُ.

ܒܗܠܠ ــ بَهْلِيْ = أحمق وأبله.

ܬܢܘܪܬܐ ــ تَنّورة = ثوب مستدير ينزل من الخصر إلى القدمين.

ܕܓܓܠ ــ دِجّال = كذّاب.

ܕܢܕܠ ــ دَنْدَلْ = دلّى الحبل والجرّة ونحوهما.

ܣܟܪܐ ــ سكّره = قفل الباب.

---

(٨٣) الدكتور فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ص ١٤٦.

(٨٤) ميخائيل مسعود: أمثال وحكايات، ص ٤٥.

(٨٥) منير الياس وهيبة: الزجل، ص ١٤ ـ ١٩؛ فيليب حتّي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٢، ص ١٤٦؛ البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث: البراهين الحسّيّة، ص ١٦.

طَرْطَشْ = لَوَّثَ.

مَعَسْ = دَهَسَ وَسحَقَ.

عِرْزالْ = خيمة الناطور في الكرم.

ناطور، حارس.

شَتَلْ = غَرَسَ، نَصَبَ.

المراجع

١ ـ بابادوبولس، خريسوستمس: تاريخ كنيسة أنطاكية. تعريب الأسقف استفانس حدّاد. بيروت، منشورات النور، ١٩٨٤.

٢ ـ برصوم، البطريرك أغناطيوس أفرام الأوّل: اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانيّة. بغداد، مطبعة الشعب، ط ٣، ١٩٧٦.

٣ ـ توما، المطران سويريوس يعقوب: تاريخ الكنيسة السريانيّة الأنطاكيّة. بيروت، مطبعة دار الكتب، ١٩٥٣. جزءان.

٤ ـ حتّي، الدكتور فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين. ج ١ ترجمة جورج حدّاد وعبد الكريم رافق، وج ٢ ترجمة جبرائيل جبّور وكمال اليازجي. بيروت، دار الثقافة. ج ١، ١٩٨٢ وج ٢، ١٩٨٣.

٥ ـ الرافعي، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب. بيروت، دار الكتاب العربيّ، ط ٤، ١٩٨٤. ثلاثة أجزاء.

٦ ـ ساكا، المطران إسحق: الكتاب المقدّس في كنيسة أنطاكية السريانيّة. حلب، مطرانيّة السريان الأرثوذكس. ١٩٨٢.

٧ ـ سيغال، ج.ب.: الرها المدينة المباركة. ترجمة يوسف ابراهيم جبرا. دمشق، مطبعة ألف باء ـ الأديب، ط ١، ١٩٨٨.

٨ ـ شمعون، المطران غريغوريوس صليبا: الممالك الآراميّة. حلب، مطرانيّة السريان الأرثوذكس، ١٩٨١.

٩ ـ عيواص، البطريرك أغناطيوس زكّا الأوّل: أهل الكهف في المصادر السريانيّة. حلب، مطرانيّة السريان الأرثوذكس، ١٩٨٠.

١٠ـ عيواص، البطريرك أغناطيوس زكّا الأوّل: كنيسة أنطاكية السريانيّة عبر العصور. حلب، مطرانيّة السريان الأرثوذكس، ١٩٨١.

١١ـ فريحة، أنيس: معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها. بيروت، مكتبة لبنان. ط ٢، ١٩٧٢.

١٢ـ الكفرنيسي، القس بولس الخوري الراهب اللبنانيّ الماروني: غرامطيق اللغة الآراميّة السريانيّة، صرف ونحو. بيروت، مطبعة الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، ط ٢، ١٩٦٢.

١٣ـ لامنس، الأب هنري اليسوعي: تسريح الأبصار في ما يحتوي لبنان من الآثار. مجلة المشرق، بيروت، ج ٦، العدد ١٥ (١ آب، ١٩٠٣).

١٤ـ مسعود، ميخائيل: أمثال وحكايات. بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٨٠.

١٥ـ وهيبة، منير الياس: الزجل، تاريخه، أدبه، أعلامه، قديماً وحديثاً. حريصا، لبنان، المطبعة البولسيّة، ١٩٥٢.

١٦ـ يعقوب، البطريرك أغناطيوس الثالث: اللآلىء المنثورة في الأقوال المأثورة. دمشق، ١٩٦٩.

١٧ـ يعقوب، البطريرك أغناطيوس الثالث: البراهين الحسّيّة على تقارض السريانيّة والعربيّة. لبنان، مطابع الكريم الحديثة، ١٩٦٩.

١٨ـ يعقوب، البطريرك أغناطيوس الثالث: الكنيسة السريانيّة الأنطاكيّة الأرثوذكسيّة. لبنان، مطبعة مار أفرام البطريركيّة السريانيّة، ١٩٧٤.

١٩ـ يعقوب، الدكتور إميل بديع: فقه اللغة العربيّة وخصائصها. بيروت، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٨٢.

٢٠ـ The New Encyclopaedia Britannica. Chicago, the University Of Chicago, 1982.

٢١ـ Theodore, H. Robinson: Paradigms And Exercises In Syriac Grammar. Oxford, Clarendon Press, 4th ed., 1962.

The Syriac Language

by Nkoula Malek
Professor of Church Music and Arabic Language.

This paper endeavours to present a comprehensive sketch of the Syriac language, its literature, authors and relation to Arabic.

The Arameans who came into christianity, got rid of their original name calling themselves «Syrian», so that they could be distinguished from the Arameans who remained heathen. The so-called «Aramaic language» is itself the «Syriac language». It is the language of many pagan writers B.C., as well as many Christian authors A.D. But history did not keep the Syriac pagan literature. One of the most important reasons was that christians ruined all the pagan traces, in order to keep their children away from heathen impact.

Up to the first century B.C., the Phoenician script remained the only way to write Syriac. Many attempts were made to change, but only Boulos Ibn Arqa managed to invent a special Syriac scripture, the so-called «Estrangello» which was used in writing the Bible. The Arabic «Qufi» by which the Quran was written is derivative. Afterwards, namely in the seventh century, was invented the «Serto» script, and the «Nestorian» came to existence in the twelfth.

It is much more easier for Arabic speakers to learn Syriac, than for non-arabic speaking people, because Syriac and Arabic are two sister languages stemming from the same source. Nevertheless, Arabic remained nearer to the mother language than Syriac did.